جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

ذيول كشف الظنون ودورها في استكمال الجهود الببليوغرافية لحاجي خليفة

Kashf al-Zunun addenda and their role in carrying on the bibliographical efforts of Hadji Khalifa

زين الدين بن موسى[1]
z.benmoussa@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/22 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 22/02/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على أحد نفائس الفهارس الفنيّة الّتي بدل فيها صاحبها غاية الجهد في التّبويب والحصر؛ وهو كتاب "كشف الظّنون"، لمؤلّفه "حاجي خليفة"، الّذي وإن تأخّر زمانه فإنّه قد حاز فضل المتقدّم فيما تضمّنه من رصيد ثريّ في مختلف عناوين المؤلّفات التي شملت مجالات معرفيّة عامّة وأخرى خاصّة، ومهّد الطريق لمن بعده ينهلون من معينه ويجتهدون في استكمال ما قد بدأه وشرع في الإحاطة به، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية استقصاء جميع الذيول التي أعقبت "كشف الظنون" وتعقّبته، ثمّ سنعمل على دراسة منهجها وإبراز جهود أصحابها في فن الببليوغرافيا والفهرسة، لكونها لم تبتر هذا الحبل الموصول في تتبّع نشاط الحركة الفكرية منذ تأسيس معالم الحضارة الإسلامية. وقد أسفرت أهمّ النّتائج على أنّ هذه الذيول لم تتمكّن من الانفصال عن أصل وضع "كشف الظّنون"، بل وضمنت له البقاء والاستمرارية على نحو ما أراده مؤلّفه الذي لو طال به العُمر لأخرج هذا المصنّف في عشرات المجلّدات.

كلمات مفتاحية: ذيول، كشف الظّنون، حاجي خليفة، الجهود الببليوغرافيّة.

Abstract:

This study aims at shedding light on the book of “Kashf a-Zunun” of Hadji Khalifa, which is one of the main points of the technical bibliographies, where the author made huge efforts in classification. And this paper shall investigate all “Kashf al-Zunun” addenda. Then, we shall study their method and show the efforts of their authors in bibliography and indexing, because they marked a continuity of the efforts of the intellectual movement since the start of the Islamic civilization. Findings show that these addenda could not break up with the main content of “Kashf al-Zunun”; rather, they ensured its survival and continuity as wanted by its author, who would have published this work in tens of volumes if he had lived longer.

Keywords: addenda; Kashf a-Zunun; Hadji Khalifa; bibliographic efforts.

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة (الجزائر).

مقدّمة:

إنّ كثرة الفهارس والكشافات والمعاجم في التراث العربي لا يعكس إلا زخمَ التأليف وتنوع الإنتاج الفكري في تلك العصور الزاهرة من أوج عطاء الحضارة الإسلامية التي أبدع فيها المسلمون في كل علم وفنّ، والمتتبّع لما حوته جهود القدماء والمحدثين في فهرسة أعمال علماء الحضارة الإسلامية لا يسعه إلاّ أن يقرّ بجودة وسماقة الفكر الإسلامي الذي أبان عن طبيعة عقول لا تكاد تفتُر عن الإنتاج والإبداع في كلّ حقل معرفيّ بما في ذلك تلك العلوم التي تندرج ضمن ما يُعرف بفضاءات الترف العقلي، فهذا الزخم الضخم من المؤلّفات كان بمثابة الحافز الذي أجبر نخبة من العلماء على فهرسة العلوم وتصنيف كتبها كلّ حسب موضوعه، ويأتي في طليعة هذه الكشافات من حيث أهميتها كتاب (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) لصاحبه الشيخ الحاج مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المعروف بالحاج خليفة أو حاجي خليفة (ت1067هـ) الذي أغنى المكتبة العربية والإسلامية بمَعْلَمة حوت ما يناهز أربعة عشر ألفا وخمسمائة كتاب دون الإشارة إلى بقيّة الرسائل والشروحات التي يذكرها تباعا ضمن الترجمة الواحدة لمؤلّف قد تشتهر بعض كتبه ويشتغل تلاميذه بشرحها وتلخيصها، فمثل هذه الفهرسة الببليوغرافية لها من القيمة العلمية ما لها لكونها ألّفت بين ألفيتين من الزّمن في الحضارة الإنسانية استفاد فيها اللاّحق من جَهد السّابق.

فلولا التفات العلماء إلى قيمة كتاب (كشف الظنون) لما تعقّبوه بالذيول والتتمّات يبتغون من وراء ذلك إتمام جهد لا يريدونه أن ينقطع؛ حيث تصدّى للتأليف في هذا المجال الببليوغرافي زمرة من العلماء الموسوعيين الذين حاولوا أن يقتفوا أثر حاجي خليفة ويستقصون جهود المؤلّفين من بعده، فلا يُغادرون مصرا من الأمصار إلاّ ويدوّنون ما تمّ التأليف به من كتب يعملون على فهرسة رؤوس موضوعاتها وتبويب عناوين مصنّفاتها، والملاحظ أنّ من انبرى إلى تتبّع سَنَنَ حاجي خليفة ومن قبله قد كان جلّهُم من العثمانيّين ينحدرون من بلد الأتراك نظرا لما يحويه هذا البلد من نفائس المخطوط وكرائم المؤلّفات قديمها وحديثها، وما هذه المداخلة إلاّ محاولة لعرض جهود من تعقّب كشف الظنون بذيل أو تتمّة أو استدراكات الغاية في كلّ ذلك الحفاظ على إرث الحضارة الإسلامية وتبيان فضل علمائها والإشارة إلى الكمّ الهائل من المصنّفات التي أنتجتها عقولهم في مختلف دروب العلم والمعرفة، ومن هنا كانت الإشكاليّة المطروحة: ما هي الذّيول الّتي أعقبت (كشف الظّنون)؟ وهل كان لها دورٌ في استكمال الجهود الببليوغرافيّة لحاجي خليفة؟ وسنجيب عن هذه الإشكاليّة من خلال العناصر الآتية:

1- القيمة العلميّة لكتاب (كشف الظّنون) ومنهج مؤلّفه.

1-1- سيميائيّة عنوان كتاب حاجّي خليفة.

1-2- منهج حاجّي خليفة في كتابه (كشف الظّنون).

1-3- القيمة العلميّة لكتاب (كشف الظّنون).

2- الذيول التي اقتفت أثر كتاب (كشف الظنون) في الفهرسة والتصنيف.

1. القيمة العلمية لكتاب (كشف الظنون) ومنهج مؤلّفه:

لقد ذاع صَيْتُ (كشف الظنون) وطبّق بشهرته الآفاق واحتاجت لما فيه من علم جميع الأمصار والأقطار؛ حيث سعى القاصي والدّاني من المشتغلين بالبحث العلمي لاقتنائه والاستفادة ممّا حواه من نفائس الكتب والعلوم، وكان ذلك سببا في علوّ كعب مؤلّفه حاجي خليفة؛ الذي وإن صنّف فهرس (كشف الظنون) الذي زاده في العلم بسطة إلاّ أنّه كان شغوفا بالتأليف في علوم شتّى لا تكاد تقلّ شأنا عمّا في كتاب (كشف الظنون)، فمثل هذا الكتاب لا يعدو في عرف المصنّفين جهدا اهتمّ بالجمع والتّصنيف والإحصاء، أمّا بقية كتبه الأخرى فهي من حرّ فكره أنتجها لتكون بصمة على خالص ما حازهُ من جودة المعارف والعلوم التي حصّلها في أزهى عصور طلبه للعلم وعكف على استثمارها لإبداع ما هو جديد في أُخريات حياته، وهذا هو دأب العلماء الأفذاذ الذين لا يستسيغون اجترار جَهد من سبقهم، بل إنّهم يبذلون غاية الجهد في إضافة لبنات أخرى لصرح مدينة العلم، فيجتهدون في التشييد بالكتابة والتقييد والإبداع دونما ملل أو كلل، فمؤلّفات حاجي خليفة متنوّعة (كحالة، د ت، صفحة 263) تنوّع حصيلته العلمية، وهذا ما انعكس إيجابا على رغبته الجامحة في تصنيف فهرس شامل لمعظم الكتب والعلوم التي تناهت إليه في عصره، فكتابه كشف الظنون وإن كان جمعا فقيمته تحصيل كمّ كبير من المؤلّفات والمصنّفات المتناثرة في كلّ صقع من أصقاع العالم بأطرافه المختلفة تركيّها وفارسيّها وعربيّها.

فالمعارف التي حشدها حاجي خليفة في موسوعته هذه لا تتوقّف عند عناوين كتب بعينها، بل إنّ القيمة العلمية للكتاب تطالعك بدءا من المقدّمة الضافية التي استهلّ بها كتابه، وقد كان للمؤلّف فضل السبق في أشياء كثيرة سنشير إليها ضمن ثنايا هذه المداخلة، غير أنّ أولوية السبق عنده أنّه توسّط عهدين ذهبيين من عهود الحضارة الإسلامية، فأدنى الأوّل منهما لما سيكون مادّة خام وثريّة للثاني منهما؛ حيث مثّل جسر العبور بين شطري الحضارة الإسلامية قديمها ومستهلّ حديثها الذي كان فيه (كشف الظنون) ملجأ يلوذ به علماء الغرب قبل العرب والمسلمين أنفسهم، لأنّ مطلع العصر الحديث الذي جاء بعد زمن حاجي خليفة كان فيه الحظّ الأوفر من العلم لأهل الغرب من غير المسلمين لكونهم عرفوا للكتاب مكانته وأدركوا ما به من قيمة وأنّ تجاهله أو الاستغناء عنه سيفوّت عليهم رصيدا علميا لا يمكن لهم أن يتداركوه أو يستدركوه ولو بلغوا ما بلغوا من شأو في علم الببليوغرافيا، هذا العلم الذي اتّكأ في أوروبا عند تأسيسه على فهارس فنيّة في رؤوس الموضوعات وأصول تبويب الكتب أعدّها قدماء المسلمين من مثل ابن النديم في (فهرسته) وطاش كبري زاده في (مفتاح السعادة) وحاجي خليفة في (كشف الظنون)، وما يشهد على الحظوة السامقة التي نالها كشف الظنون عند الغربيين أنّ من أولى طبعاته طبعة قد ظهرت في أوروبا سنة (1300هـ) في بلدة (ليبزيك وليدن) في سبعة أجزاء باعتناء المستشرق البحاثة غستاف فلوجل (ت1287هـ) ومعه كتاب (آثار نو) للعلاّمة أحمد طاهر أفندي حنفي زاده، وفهرس مكتبة الجامع الأزهر، وفهرس مكتبة أبي الذهب وغيرها من الكتب (الكتاني، 2013، صفحة 361)، فهذه الملاحق والذيول التي أردفها المستشرق بـ (كشف الظنون) لا تعني إلاّ شيئا واحدا هو مدى حرص أولئك المستشرقين وعنايتهم بالمنتج الفكري الإسلامي الذي استقصوه بحثا وتعقّبوه بالدّراسات والتحقيق اعتمادا على مثل هذه الفهارس الببليوغرافية التي يأتي كشف الظنون في مقدّمتها.

1.1 سيميائية عنوان كتاب حاجي خليفة:

عناية المسلمين بقيمة منتجهم الفكري يعكسها تفننهم في اصطفاء عناوين كتبهم التي ما من كتاب يصنفونه منها إلاّ ويمنحونه أجود الأسماء الدّالة على المضمون، فاستقطاب القارئ يبدأ من شفرة العنوان الذي يحتاج إلى إمعان وتدبّر في ديباجته الموحية بما من شأنه أن يحفّز العقل على الاطّلاع ومعاينة المادّة العلمية، فكم من مصنّف في التراث الإسلامي حمل عنوانا يضاهي في تأليفه ووضعه قيمة كتاب برمّته، فعند الشروع في وسم أيّ كتاب بعنوانه المناسب يختار له صاحب الكتاب أرقى العبارات وأفضل الكلمات ينمّق كلّ ذلك بسجع يقرع جرسه الآذان وينبّه بإيقاعه الأذهان؛ التي إن لم تنبهر برونق العنوان فلا تبالي بما حوته أوراق الدّفاتر والرسائل وما علاها من كتب في كلّ فنّ وعلم، لذا توخّى الأقدمون اصطفاء أحسن العناوين لكتبهم كما يتحرّون أروع الأسماء لأبنائهم.

ويكفي الاستدلال على ذلك بكتاب (كشف الظنون) الذي تشكّل عنوانُه من تركيبين أولّهما (**كشف الظنون**) وثانيهما (**عن أسماء الكتب والفنون**)، فتوافق ثنائية التركيب ليست عشوائية بما يوائم السّجع في طرف كلّ لفظ في نهاية التركيبين وهو حرف النون، فالكشف من معانيه في لغة العرب مأخوذ من الفعل كشف أي أزال المستور وهتك المحجوب طلبا لحقيقة ما (ابن دريد، 1987، صفحة 874)، أمّا الظنون فهو من الظنّ المرادف لليقين على جهة التضاد في اللّفظ والمعنى واحد (أبو الطّيّب اللّغويّ، 1969، صفحة 296)، أو أنّه من المظنّة وهو مكان تواجد الشيء (مصطفى وآخرون، 2004، صفحة 578)، ويبين شطر العنوان الثاني أنّ الكتاب يحوي أسماء الكتب أي عناوينها مع الإشارة إلى الفنون والمقصود بها مجموع العلوم التي تضمّنتها قائمة الكتب المذكورة في الكتاب، وهناك دلالات أخرى يمكن أن تُستوحى من عنوان الكتاب وذلك بأن يكون معنى (**الظنون**) من الشيء الذي يتعذّر الحصول عليه فعندئذ يبذل الجهد في نواله، لأنّ الظنون كما قال الأعشى (الأزهري، د ت، صفحة 364): «الظنون وهي البئر التي لا يُدرى أفيها ماء أم لا؟

ما جُعِلَ الجُدُّ الظَّنُونُ الذي جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الماطِرِ».

فتطواف حاجي خليفة بين الأمصار بحثا عن الكتب والاستقصاء عن مضامينها، هذا السعي الحثيث أشبه بمن يستقطر أو يستجلب الماء من بئر غار ماؤها.

أمّا تعبيره عن العلوم بالفنون فلا يعني إلاّ شيئا واحدا هو أنّ ما حواه كتابُه (كشف الظنون) ليس موقوفا على حقل معرفيّ ضابطه العلم ومقتضياته بل يتجاوز كلّ ذلك ليشمل أيّ إبداع تفنّن علماء المسلمين في إنتاجه وإعداده وإن لم يكن وفق معايير العلوم التي لها أحكام خاصّة، فليس كلّ علم هو بالضرورة مندرج ضمن مجال الفنّ، هذا المصطلح الذي أخذ بعدا دلاليا أوسع، فالأدب مثلا يمكن أن يكون فنّا وليس علمًا، عدا ما اتّصل بدراساته النقدية والتاريخية، كما هي عليه الحال في الأبحاث الأكاديمية المعاصرة، وقد ذكر حاجي خليفة في كتابه جملة من الصنائع والحرف التي لا ترقى إلى مصافّ العلوم، كما أنّه أشار إلى رسائل الخطّ والكتابة وليست من العلم في شيء؛ حيث إنّ طريقة رسمها وخطّها ما هي إلاّ ملكة إبداع تنمّى بالممارسة، وما لبث العلماء بعد ذلك إلاّ أن أوجدوا لها قواعد تتكئ على المكتسب فطريا أوّلا.

2.1 منهج حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون):

اختطّ حاجي خليفة لنفسه منهجا في كتابه (كشف الظنون) ما فتئ أن يذكره ويشرحه في مقدّمة كتابه التي عمل على أن يجعلها وظيفية تحوي مقاصد فهرسه هذا لكونه عرّف بالعلم وأنواع العلوم وقيمة العلماء وشرف طلبته ومكانة القرطاس والقلم، وكلّها أشياء مفضية إلى أن تبيّن الهدف من وراء إنجاز كشّاف للكتب مع عزوها إلى أصحابها وأهمّ العلوم التي أُلّفت فيها، وقد وضّح حاجي خليفة منهجه هذا بقوله (حاجي خليفة، د ت، صفحة 3): «ورتبته على الحروف المعجمة كالمغرب والأساس حذرا من التكرار والالتباس، وراعيت في حروف الأسماء إلى الثالث والرابع ترتيبا. فكل ما له اسم ذكرته في محله مع مصنفه وتاريخه ومتعلقاته ووصفه تفصيلا وتبويبا . وربّما أشرت إلى ما روي عن الفحول من الردّ والقبول. وأوردت أيضا أسماء الشروح والحواشي، لدفع الشبهة ورفع الغواشي مع التصريح بأنّه شرح كتاب فلاني وأنّه سبق أو سيأتي في فصله. بناء على أنّ المتن أصل والفرع أولى أن يذكر عقيب أصله. وما لا اسم له ذكرته باعتبار الإضافة إلى الفنّ أو إلى مصنّفه في باب التاء والدّال والرّاء والكاف برعاية الترتيب في المضاف إليه.....وما ذكرته من كتب الفروع قيّدته بمذهب مصنّفه على اليقين، وما ليس بعربي قيدته بأنه تركي أو فارسي أو مترجم ليزول به الإبهام... وأما أسماء العلوم فذكرتها باعتبار المضاف إليه فعلم الفقه مثلا في الفاء وما يليه» .

فالملاحظ من خلال هذا المقتطف من المقدّمة أنّ حاجي خليفة قد رتّب قائمة كتبه التي أوردها في كشّافه ترتيبا هجائيا بعناوين الكتب، فهو يذكر العلوم ويعرّف بها في مواضعها من الترتيب الهجائي، فعلم الحديث مثلا يأتي ذكره والتعريف به في مكانه تحت حرف الحاء، أمّا كتب الحديث فيذكر كلّ منها في موضعه من الترتيب الهجائي، فالجامع الصحيح للبخاري يأتي في حرف الجيم، وسنن أبي داود يأتي في حرف السين، وموطأ مالك يأتي في حرف الميم، كما انفرد هذا الكتاب بذكر الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات التي عملت حول كلّ كتاب من الكتب بعده مباشرة في ترتيب هجائي بالعناوين أيضا، كما أنّ المؤلّف قد أسهب في ذكر بيانات كلّ كتاب حيث يعطي نبذة عن المؤلّف (بلده وصنعته وتاريخ وفاته بالأرقام والحروف) وعن موضوع الكتاب ومحتوياته وطريقة تنظيمها، ويذكر بدايته وتاريخ الانتهاء من تأليفه وحجمه، وقد يضيف إلى ذلك بيانات عن سبب تأليف الكتاب وآراء العلماء فيه (شرف الدين، 1986، الصفحات 335- 336).

ما يميّز منهج كشف الظنون كذلك أنّه لم يُقحم مطوّلات التراجم مع عناوين الكتب لأنّ ذلك يفقده ميزته بوصفه قائمة ببليوغرافية وليس مصنّفًا من مصنّفات كتب التراجم والسير، ولا يعني هذا أنّه مثّل للدّارسين مصدرا مهمّا لمعرفة تراجم بعض العلماء الذين لم يُترجم لهم غير (كشف الظنون)، فالإحالة على الترجمة لا تعدو أن تكون عارضة في الحديث عن المؤلّف الذي اجتهد في تصنيف كتاب ما أو مجموعة من الكتب، لأنّ القيمة العلمية للكتاب تفرض الحديث عن صاحبه لما في ذلك من تبيان وتوضيح لشرف وعلوّ كعب العالم في زمانه وبين أقرانه، لكونه التفت إلى ما لم يلتفت إليه أنداده من العلماء لاسيما إذا ما كان موضوع الكتاب مبتكرا لا من تلك الفئة التي تعتمد التكرار والاجترار.

3.1 القيمة العلمية لكتاب (كشف الظنون):

لو انحصر جَهد حاجي خليفة في الفهرسة الببليوغرافية في الكتب العربية والإسلامية على نحو ما تفعله بعض الكشّافات المعاصرة لكفاه ذلك فخرا لكونه جمع شتاتا متفرّقا من الكُتُب بلغ غاية الجُهد في الحصول عليها ومعرفة مظّانها في مختلف دور العلم والمكتبات، لكنّ الرّجل أراد لمصنّفه هذا منحى مغايرًا لا تكون فيه الفهرسة وسرد العناوين إلاّ بمثابة وسيلة تفضي في النّهاية إلى غاية أسمى هي الإحاطة بالعلوم التي نبغ فيها علماءُ الحضارة الإسلامية والتي أودعوها بطون مؤلّفات تشهد على مدى جهدهم

المبذول في خدمة تلك الحضارة بشقّيها المادّي والمعنوي، وهذا ما التفت إليه صاحب كشف الظنون لأنّه سجّل في كتابه حقائق علمية قلّما ينتبه إليها من يتعرّض لفهرسة الكتب فحسب، فلمّا كان هدفُه غير هذا أدرج في كشّافه معلومات قيّمة عن بعض الكتب وترجمات نادرة لحياة مؤلّفيها، وهناك أكثر من شاهد على هذا المقصد في التأليف لكونه مثلا قد استوفى تراجم وأخبار العلماء الذين كانوا يتردّدون على خزانة الحكمة مع الإشارة إلى ما ألّفوه من كتب (عوّاد، 1999، صفحة 91)، وتلك حقبة مطموسة شحّت المصادر في ذكر نبذة عنها.

(كشف الظنون) ليس أضخم الببليوغرافيات العربية وأهمها فحسب، وإنّما يمثّل الرؤية الببليوجرافية الواضحة ويمثّل أيضا الصورة الواقعية للحياة الفكرية العربية حتّى القرن الحادي عشر للهجرة؛ لأنّ أغلب الكتب التي ذكرها موجودة بالفعل بخلاف الكتب التي وردت في فهرست ابن النديم والتي فُقد معظمها (شرف الدين، 1986، صفحة 334)، فما يزيد الكتابَ قيمة أنّه أبان عن مواضع تواجد كُتُب لم تُفقد بل إنّ ما حوته من مادّة علمية يُمكن الاستفادة منها واستثمارُها للكشف عمّا وصل إليه علماء الحضارة الإسلامية في بحثهم وسبرهم واستقصائهم عن بعض الحقائق العلمية ومدارستهم لجملة من القضايا المعرفية في معظم المجالات الدينية خاصّة وبقيّة العلوم الإنسانية عامّة بما فيها العلوم الطبيعية والتجريبية، التي ما كان للحضارة أن تنهض دونها نظرا للحاجة الماسّة إلى فوائدها.

وكما هو دأب العلماء العاملين فإنّ حاجي خليفة قد أُوتي من مكمن الطعن حينما تعقّبه المستشرق الفرنسي هربلو وشنّع عليه بأن عدّه حاطب ليلٍ، ضمّن كتابه كلّ ما عنّ له دونما تمحيص، وقد غمطه بذلك حقّه بأن اتهمه بإدراج الغثّ والسّمين في مصنّفه، مع أنّ هذا المستشرق قد اغترف من كشف الظنون جلّ ما حواه كتابه (مكتبة الشرق) (الأبياري وآخرون، د ت، صفحة 412)، وما يفنّد هذا الزعم وغيره من المثالب التي يتعجّل بعض المستشرقين في الوشاية بها قدحا في مصداقية كتب علماء المسلمين لاسيما إذا كانت في مكانة (كشف الظنون)، وهذا الكتاب قد تعدّدت مزاياه وفوائدُهُ حتّى صار من المستحيل الاستغناء عنه في الشرق والغرب، ويمكن تعداد تلك المزايا على النّحو الآتي:

– كتاب (كشف الظنون) مصدر ببليوغرافي يحصر التراث العربي والإنتاج الفكري في مختلف العلوم خلال فترة زمنية طويلة بلغت عشرة قرون وهو أشمل المصنفات في موضوعه.

– حوى هذا الكتاب أمّات المصنّفات في الفكر الإسلامي مما ألّفه أصحابه بالعربية والفارسية والتركية، وهذه خاصيّة انفرد بها إلى حد كبير.

– الكتاب ذو فائدة كبيرة في الكشف عن نسبة كثير من الكتب إلى أصحابها والتأكد من ذلك.

– الكتاب حسن التبويب فقد اتبع الطريقة المعجمية التي سهّلت على الباحثين الانتفاع منه، وجعلت منه فهرسا ضخما شاملا يقدم عونا كبيرا للباحثين.

– يبدأ بمقدمة الكتاب طويلة تناول فيها: العلم وماهيته ومنزلته، وأقسام العلوم والحاجة إلى التدوين والتأليف وغير ذلك.

2. الذيول التي اقتفت أثر كتاب (كشف الظنون) في الفهرسة والتصنيف:

تعاظمت قيمة كشف الظنون حينما تعقّبه العلماء بالتتبّع والاستدراك والتذييل والتتمّات والملاحق وغيرها من المصطلحات في علم الببليوغرافيا التي وإن كانت لا تحيل على دلالة واحدة عند أهل الاختصاص، فالكتب التي بلغت شأوا في الاهتمام ونالت حُظوة في مكانتها هي تلك التي عرفها العلماءُ وتواضعوا على تسميتها بالذيول لكون مؤلّفيها اقتفوا أثر حاجي خليفة وانتصروا لمذهبه في التّصنيف، فأحيوا بذلك جَهده فكانت لهم رغبة جامحة في الحفاظ على ما ارتضاه حاجّي خليفة من منهج في الفهرسة الببليوغرافية التي ضمّنها كتابه، فهذا الضرب من التّصنيف في علم الفهرسة لا يمكنه أن يحتلّ مثل هذه المكانة في كتاب ككشف الظنون إن لم يكن هذا المصنَّفُ في حدّ ذاته سبقا علميا عرف له العلماء الذين جاؤوا من بعده جميل فضله ومنزلة مصنّفه، فعكفوا غير متوانين في تتبّع رسم خطاه محقّقين بذلك مكسبا علميا مضاعفا حفظ لكشف الظنون تواصل ذكره من جهة كما أنّهم أكملوا نقصا غير مقصود بحكم سنّة الانقطاع بسبب وفاة المؤلّف الذي وإن طال عمره فلا سبيل إلى جمع وحصر كلّ الكتب المؤلّفة التي تُنتجها العقولُ في كلّ عصر ومصر.

فالاستمرارية في إتمام أعمال علمية قد عجز أصحابها عن إكمالها لظروف قاهرة، هذه السّمة كانت دأب العلماء قديما لما يرونه من فوائد جمّة تُستشفّ من طبيعة الكتاب ومادّته العلمية، وإن لم يسعفهم الحظّ في مواصلة العمل على النّهج نفسه لجأوا إلى وضع الحواشي على جانبي تلك الكتب تكون في الغالب بمثابة كتاب ثاني يعالج الموضوع نفسه لكن برؤية مختلفة ومنهج واحد، وقد استقلّت الحواشي بكتب خاصّة بها في تاريخ التأليف الإسلامي والعربي كحواشي كتب النّحو والفقه وأصوله، غير أنّ الملاحظ مع كتاب (كشف الظنون) أنّه قد حاز سبقا لم يُكتب لغيره في تاريخ تأليف الفهارس والكشّافات والمعاجم بما في ذلك ما عليه حركة التأليف المعاصرة، فهذا المصنّف قد تجاوز عدد ذيوله الإحدى عشر ذيلا ناهيك عن المختلف فيها والمستدركات التي حاول مؤلّفوها أن يضيفوا جديدا لكن بمنهج مغاير؛ أي أنّ المقايسة العلمية كانت في جمع نوع من الكُتُب مع الإحالة على المجال المعرفي الذي تنتمي إليه، وهذه الطريقة ابتدعها حاجّي خليفة لكن بمنهج واضح قعّد له من خلال ما أشار إليه في مجموع الأفكار التي ضمّنها مقدّمة كتابه.

درج علماء السّلف على أن يُطلقوا مصطلح الذيل على ما له قيمة وقمّة؛ أي مكانة علمية في أصل وضعه، وهذه النظرة السّامقة هي التي حظي بها (كشف الظنون) حينما اتّخذه من جاء بعده أصلا ومصدرا، فاعترفوا له بحسن الصّنيع وفضل السّبق فراحوا يعدّدون مناقب صاحبه في الجَهد ويبيّنون الميزات التي انفرد بها هذا الكتابُ عن صنوه ممّن تقدّموه كالفهرست لابن النّديم وغيره ممّن نحا نحوه في هذا الفنّ، وهذا ما أكسب كتاب (كشف الظنون) نوعا من التفاضل على غيره ممّن هم في جنس مادّته؛ أي التّصنيف الببليوغرافي، فالمتتبّع للحركية العلمية التي مثّل لها (كشف الظنون) بؤرة أساسا يعثر على جملة من الأعمال النّفيسة ما بين ذيول وما أكثرها ومختصرات واستدراكات وتتمّات وحواش، فكأنّه النّواة التي تأسّست انطلاقا منها فلسفةُ علم الببليوغرافيا في تاريخ التراث الإسلامي، وما يستوقفنا من خلال هذا الزخم العلمي والمعرفي الذي أُثير حول كشف الظنون مجموع تلك الذيول التي حفظت لكتاب حاجّي خليفة منزلته وضمنت له استمرارية وتواصلا في العمل على نهج مقارب يضيف فيه اللاّحق ما توافر لديه في عصره على نيّة السّابق الذي انحصر في شخص (حاجّي خليفة) بوصفه الأصل، فالذيل وإن تأخّر فهو لا يُبغي أنّه سائر على

نهج (كشف الظنون) وهذا ما تتضمّنه ديباجة عناوين هذه الذيول التي لا تُشير إلى ذيل آخرَ سبقها على نيّة التسلسل والإتمام، وعند مراجعة ومعاينة مجموع كتب الفهارس المتوافرة لدينا اتّضح أنّ عدد الذيول لم يُحصر بكمّ محدّد بل هناك تفاوت في الذكر والإحصاء، ويكفي أن نشير إلى أشهرها وما تواتر ذكرها في أمّات مصادر الفهرسة الببليوغرافية الإسلامية وهي على النحو الآتي:

1- ذيل كشف الظنون للعلامة محمد عزتي أفندي المشهور بوشنة زاده الإسلامبولي (ت1092هـ) ولا يزال مسودّة.

2- التذكار الجامع للآثار للعلامة السيد حسين العباسي النبهاني الحلبي (ت1096هـ) اختصر كشف الظنون وزاد عليه ما فات المؤلّف وما أُلّف بعده، ونسخته موجودة بتمامها في مكتبة (يني) وتعني الجديد (جامع) من جوامع إستانبول.

3- ذيل كمال الدين محمد بن الأستاذ مصطفى البكري الغزي (ت1196هـ) الموسوم بـ (كشف الظّنون في الشّروح والمتون).

4- ذيل العلامة نوعي أفندي (ت1201هـ).

5- (آثارنو) بالتركية ومعناه تآليف جديدة للعلامة أحمد طاهر أفندي الشهير بمنيف زاده (ت1220هـ) طبع في ليبزيج ملحقا بآخر المجلد السادس من كشف الظنون بعناية المستشرق فلوجل، وفي نسخة أخرى ألحق بآخر المجلد الثاني من الصفحة 528 إلى الصفحة 646، أوّله: (الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان علّمه البيان) وفي آخره: قد ابتدأ المصنّف ترتيب هذا الكتاب سنة (1127هـ) ذكر فيه أهمّ الكتب التركية والفارسية التي ظهرت بعد (كشف الظنون). وهذا الذيل به نحو من (5000) كتاب، مابين مؤلفات عربية وفارسية وتركية، ليست موجودة في كشف الظّنون).

6- ذيل العلامة محمد أفندي الأرض رومي، والمسمى بـ «عثمانلي مؤلفري» ذكر فيه تآليف علماء الدولة العثمانية.

7- ذيل العلامة عارف حكمت بك (ت1275هـ) وصل فيه إلى حرف الجيم.

8- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، للعلامة إسماعيل باشا بن محمد أمين أفندي بن سليم البابانى البغدادي (ت1339هـ)، طبع عام (1346هـ) هذا الذيل يحوي قرابة (19000) كتاب.

9- ذيل إسماعيل صائب سنجر، لم يتمه، ولا تزال نسخة هذا الذيل مخطوطة.

وذكر شعبان خليفة في كتابه الببليوجرافيا أو علم الكتاب: «أن هناك كتابان آخران، البعض يعدهما من ذيول كشف الظنون، والبعض الآخر يرى غير ذلك. هذان الكتابان هما:

10- الكتاب الأول: لعربة جيار شيخ إبراهيم أفندي (ت1179 هـ)، حيث عد الأستاذ إبراهيم الأبياري هذا الكتاب ذيلا لكشف الظنون. (الأبياري وآخرون، د ت، صفحة 412) بينما الدكتور شعبان خليفة يرى أن هذا الكتاب ليس ذيلا على الكشف، وإنما هو عمل مستقل. (خليفة، 1997، صفحة 233).

11- أما الكتاب الآخر فهو كتاب أسماء الكتب لمؤلفه عبد اللّطيف بن محمد والشهير برياضى زاده الرومي الحنفي (ت1078هـ)؛ حيث ذكر محقق الكتاب محمد التونجي أنّ هذا الكتاب ليس ذيلا على الكشف، لأنّ مؤلفه معاصر لحاجي خليفة بل يذهب أبعد من ذلك فيذكر (رياضي زاده، د ت، صفحة 3): «أن رياضى زاده ألف كتابه هذا قبل أن يؤلف حاجي خليفه كتابه (كشف الظنون)، وأن الأوّل ألفه بهمة دون همة الثاني، الذي اعتمد على من سبقه وشذَّب وهذَّب غير أنه لم يذكر أن أستاذه في هذا المضمار هو رياضى زاده. بل إنّه لم يشر إلى مؤلفه من بين المؤلفات التي ذكرها». والعجيب أن عنوان الكتاب الذي صدر عن مكتبة الخانجي وبتحقيق محمد التونجي ورد بهذه الصورة (أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون)، فهل هذه الإضافة (المتمم

لكشف الظنون) من الناشر أم أنها من المحقق أم أنها من المؤلف رياضي زاده؟؟! على أية حال وكما قال الدكتور شعبان خليفة فالأمر يحتاج

إلى وقفة ببليوغرافية متأنية لفض هذا الاشتباك.

12- ذيل (الإسفار عن العلوم والأسفار) لجميل بن مصطفى بك العظم (ت1933م).

13- (طرح الظنون عن كشف الظنون) للمحقق أبو الفداء سامي التوني ولا يزال مخطوطا.

يظهر من خلال جريدة السّرد هذه أنّ معظم الذيول لازالت مخطوطة لم تطلها يدُ المحقّقين فيما هو منشور متداول بين يدي الباحثين في المشرق والمغرب، وقليلة هي الذيول التي طُبعت فلقلّتها كثيرا ما تُلحق بكشف الظنون في الطّبعات المشهورة على أنّها جزء من أجزائه التي تشكّل موسوعة متكاملة أسهم في إنجازها مجموعة من العلماء أوّلهم (حاجي خليفة)، لكن عند قراءة هذه الذيول يتبدّى للناظر فيها أنّها مستقلّة عن الأصل بالإضافات والزيّادات التي أقحمها بعض النّاشرين خطئا في الأصل؛ أي متن كشف الظنون، إلاّ أنّ سنة الوفاة وزمن التأليف لبعض الكتب شهدت على بطلان ذلك وأنّ مثل هذا الخطأ ما كان ليتسرّب إلى كشف الظنون لو لم يعتقد بعض النّاشرين أنّ الذيول الرئيسة والمعروفة هي أجزاء للكتاب وليست ملاحق له طُبعت معه تتمّة للفائدة لا غير، وأشهر تلك الذيول التي كثيرا ما تُرافق كشف الظنون (هديّة العارفين) و(إيضاح المكنون) و(السرّ المصون) وسيتمّ انتخاب بعض هذه الذيول لتبيان منهجها وقيمة ما فيها من قيمة علمية وتوضيح علاقتها بالأصل وذلك نظرا لشيوع ذكرها وانتشارها على نحو واسع أكثر من غيرها، وقلّما يطالها منهجُ التشكيك والاختلاف في أصل مادّتها ونسبتها إلى أصحابها، وهذا ما يُيسّر للباحث دراستها وتبيان قيمتها وطريقة تصنيفها.

أ- (**التذييل على كشف الظنون**): للفاضل إبراهيم بن علي الرومي الحنفي المعروف بعربه جي باشا، كان رئيس طائفة من جند الدولة العثمانية يقال لهم: عربه جي، وله آثار خطية منها الذيل المذكور، «هذا ...وكان عزم على الحجّ، فأدركته المنيّة في الطريق، وسمّاه صاحب (سلك الدّرر) لإبراهيم بن علي الحنفي الرّومي رئيس طائفة العربجية بالدّولة العثمانية». (المرادي، د ت، صفحة 14).

قال الأستاذ كارلو نالينو في كتابه (علم الفلك) المطبوع بروما عام (1911م) ما تعريبه (الكتّاني، 2013، صفحة 376): لما مضت مائة سنة تقريبا بعد موت حاجّي خليفة اعتنى إبراهيم أفندي ابن علي المشهور بعربه جي باشا المتوفّى سنة (1187هـ) بتهذيب الكتاب فصحّح بعض زلاّت الأصل وأزال منه على قدر وسعه كثيرا ممّا كان في بيان تاريخ الوفيات من النّقصان، وربّما ألحق إلحاقات مفيدة. ففي طبعة (لايبزيك) كلّ ما رواه عربه جي باشا جعل بين قوسين ليبين الأصل من الزيادات والتّصحيحات، وطبع في بولاق وفي الآستانة، مع الزيادات المذكورة بدون الإشارة إليها، وفي سلك الدرر: كان عزم على الحجّ بعد أن حجّ من جهة مصر فتوفي بالطريق عام (1189هـ) (المرادي، د ت، صفحة 14)، ونحوه في دائرة المعارف البستانية. (الكتاني، 2013، صفحة 376).

ب- (**كشف الظنون في الشرح والمتون**): للشيخ كمال الدّين محمد بن الأستاذ مصطفى البكري الغزي، قال في ترجمته من (سلك الدّرر): (جمع كتابا في أسماء الكتب على طريقة غريبة سمّاه (كشف الظنون في الشرح والمتون) أتمّه سنة (1180هـ) (المرادي، د ت، صفحة 14). وقد رفع سؤال من تبريز عام (1325هـ) إلى صاحب المقتطف: هل له علم بالكتاب المذكور وأنّه كتاب آخر غير (كشف الظنون) المعروف، أو أنّه انتحال منه؟ فرفع صاحب المقتطف لعميد البيت البكري بالقاهرة إذ ذاك السيد

توفيق البكري فأجاب بأنّ الظاهر أنّه غير (كشف الظنون) المطبوع لحاجي خليفة ولكنّنا لم نقف عليه. (المقتطف، د ت، صفحة 412).

والكتاب المذكور سمّاه (كشف الظنون في الشرح والمتون)، أتمّه سنة (1180هـ)، وهو كتاب مُختصر جاء في طالعته (الكتّاني، 2013، صفحة 376): «وبعد، فإنّ كتاب (كشف الظنون) عن أسماء الكتب والفنون جمع فيه مؤلّفه غالب أسمائها وزبر فيه طرائف أبحاثها، غير أنّه طالما كرّر فيه المؤلّفات، فبعد بذلك عن رونقه وفات، وقد عمدت إلى تلخيصه في هذا الكتاب سالكا فيه ترتيب المناهج صوب الصواب مع ضمّ ما يحقّ العلم بتأليفه فيما بلغ ينابيع الشهرة، أو رأيت حسن تصنيفه، وهو في مجلّد يساوي ثلث (كشف الظنون) الأصلي». وهو موجود بالمكتبة العربية بدمشق المعروفة قديما بالظاهرية.

ج- **(إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون)** للعلاّمة إسماعيل باشا بن محمد أمين أفندي بن سليم البابانى البغدادي: يكاد هذا الكتاب أن يكون جزءا من أجزاء (كشف الظنون) لكثرة ما لا زمه في الطبعات الحديثة والمعاصرة؛ حيث لا تنفكّ دور النّشر أن تجعله مُصاحبا له إمّا لكونه ذيلا له على الحقيقة أم أنّ بعض النّاشرين قد اعتقدوا خطأ أنّه من الكتاب، فمجموع مادّة (كشف الظنون) لا يمكنها أن تتجاوز مجلّدين أو ثلاثة على أحسن حال، غير أنّ تأثّر من جاء بعد حاجّي خليفة بمنجزه هذا فرض واقعا لا محيد عنه وهو أنّ الذّيول والتتمّات لا تعدو أن تكون عملا إضافيّا قلّما يُلتفت إلى قيمته نظرا لانتفاع أولئك العلماء بمادّة الكتاب الأصيل على أنّه مصدرٌ، كما أنّهم وجدوا منهجا عملوا على محاكاته وإن حاول بعضُهم تجاوزه ومجانبة نهجه قصد التّجديد، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الذّيول تتفاوت في قيمتها وتختلف في كيفية عرض مادّتها، إلاّ أنّ ذيولا بعينها لم يستطع مؤلّفوها أن يحيدوا عن منهج كشف الظّنون ولا التخلّص من نزعته الفكرية في التفكير، ومن أمثلة هذه الذيول التي كثيرا ما رافقت كشف الظنون كتاب (إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظنون).

يتّضح من خلال العُنوان أنّ طرفي ديباجته لا بدّ أن تلتحم لتشكّل العنوان الصّحيح وهذا ما يُبيّن جليّا في أن يكون كتابه ذيلا لا غير، فهو قد اجتهد في إضافة كتب ومؤلّفين آخرين غير الذين وردوا في (كشف الظنون)، لكنّ ذلك لم يشفع لمؤلّف الإيضاح أن يتمايز وينفصل عن الكتاب الأمّ، أمّا عن ما يُحسب له من إضافات وجهد ضاف أنّه زاد على (كشف الظنون) ما يُقدَّر بِـ (19.000) عنوان لكتبٍ لم ترد عند حاجي خليفة وهي التي ألّفت في زمانه وبعده حتّى عصر البغدادي، وهو عدد ليس بالهيّن، بذل في جمعه المؤلّف قرابة العشرين سنة انقطع فيها عن كلّ عمل لا لشيء إلاّ ليتمّم جهد من سبقه في هذا المضمار.

وقد قَسَّمَ البغداديُّ كتابه قِسمَيْن، وبوّبه بِعَدَدِ وأسماء حُروف الهِجَاء، فبدأ الجزء الأول بِـ (باب الألف) وانتهى (بالزاي)، وبدأ الثاني بـ (باب السين) وانتهى (بالياء)، ورُتِّبت الكتب ترتيباً هجائياً مع ذكر اسم مؤلّف الكتاب وكنيته ولقبه، أو ألقابه ونِسْبَتِهِ، أو نَسَبه وسنة مولده ووفاته إن عُلم.

وقد نَهَجَ البغداديُّ في (إيضاح المكنون) نَهْجَ حاجي خليفة في تقسيم الكتاب وطريقة عرض أسماء الكتب، وترتيبها غالباً، وإن خالفه ففرَّق بين الهمزة والمدّ بخلاف حاجي خليفة الذي ألحقها بالهمزة، بل تفوّق (إيضاح المكنون) على أصله في جودة الترتيب، إلا أن البغدادي أهمل ذِكْرَ الفُنون واقتصر على أسماء الكتب فحسب، كما أهمل ذكر نص أوائل الكتب التي اطّلع عليها بخلاف صنيع كاتب چلبي إلا في مواضع قليلة. وتميز (إيضاح المكنون) بميزة جعلته من أشهر ذيول (كشف الظنون)، وذلك بحرصه على ذِكر أسماء كتب معاصريه من المؤلفين، وقد كرر البغدادي بعض الكتب التي وردت في (كشف الظنون) تصحيحاً لأسمائها أو لزيادةٍ تتعلق بها، وجرى على استخدام حرف الصاد (ص) عقب أسماء عدد كبير من المؤلّفين، وهو يريد بذلك أن هذا المؤلِّف هو

(صاحب كتاب ... كذا) مشيراً إلى أشهر مؤلفاته، ليقتصر بذلك عن الإطالة بتكرار اسمه وتاريخ وفاته، محيلاً هذا التفصيل إلى موضعه عند أشهر كتبه، وكان من أبرز مصادر البغدادي في الكتاب: فهارس (مكتبة محمود الأول) بإستنبول (وإليه يشير بِـ: "آيا صوفيه")، و"مكتبة ثوبيوه رسيته" بإستنبول (وإليه يشير بِـ: "حسين رضا باشا")، و"مكتبة خالص المستشار" (وإليه يشير بِـ "خالص المستشار") بإستنبول أيضا، و"مكتبة جامع الزيتونة" بتونس (ويشير إليه في الكتاب بالزيتونة).

وعلينا أن نلتمس للبغدادي العذر فيما فاته من مؤلفات قديمة ومعاصرة له أيضاً، فإن الإحاطة بهذا الأمر تُقَارب المستحيل، خَاصة إذا كانت تقومُ على جهدٍ فَرْدِيّ محدود، كما أنه لم يُقَدِّم للكتاب بمقدمةٍ ولم يكتب له خاتمة مما يوحي بأن الكتاب لم يخرج عن طور المسَوَّدَة ولم يبلغ به مؤلفه نهايته التي يرتضيها، فكيف يُحاسب على نقصٍ في كتابٍ لم يتمّمه؟

د- **(هدية العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المُصنّفين)** للعلاّمة إسماعيل باشا بن محمد أمين أفندي بن سليم البابانِي البغدادي: لا يمكننا الجزم بأيِّ الكتابَيْن إسماعيل باشا بدأ البغدادي تأليفه لذيلي (كشف الظنون) هل بـ (إيضاح المكنون) أم بـ (هدّية العارفين)، أم كان يؤلفهما معاً؟ علينا أَنْ نُراعِيَ أنَّ التطابق بين الكتابين في المعلومات ليس تَامًّا – وإن اختلف منهج ترتيب المادّة العلمية بينهما فالأول مرتّب على أسماء التصانيف والثاني على أسماء المصنِّفين، فإلى جانب ما بينهما من زيادة ونُقصان ثمة مغايرة في بعض أسماء التصانيف أيضاً.

وقد طبع الكتاب عن نسخة المؤلّف، وعُنِي بتصحيحه (محمد شرف يالتقايا) كما فعل بأصله (كشف الظنون)، ورفعت بيلگه الكليسِي بإستنبول بين سنتي (1945 و1947م)، وهي طبعة مقبولة إلى حد كبير، بذل فيها محقّقها جهداً كبيراً، لكن ثمّة تضارب في بعض المعلومات بين الكتاب وأصله تستدعي التحقيق، وإن الحاجة تستدعي بعد مُضِي هذا الزمن الطويل على تأليف الكتاب إلى تحقيق علمي دقيق لمادّته تستفيد ممّا أخرجته المطابع اليوم من فهارس لمكتبات المخطوطات في العالم، وما دفعته إلى العالَم من مؤلفات قديمة وحديثة تفوق الحصر، وهو ما يفيد في تصحيح مادة الكتاب، ويفتح الباب أمام محاولة جادة لإكمال (إيضاح المكنون) بكتاب هو في واقع الأمر ذيل على (كشف الظنون) نفسه.

هـ- **(السرّ المصون) لجميل بن مصطفى بن محمّد حافظ المعروف بابن العظم:** لقد كان ابن العظم ناقلا غير مبتكر إذ لم يضف إلاّ القليل على ما عند حاجي خليفة، ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية على ما ذيّله على كتاب (كشف الظنون):

– نقل ابن العظم عن غيره في مقدّمة كتابه (السرّ المصون) نقلا يكاد يكون حرفيا، فمقدّمته مأخوذة من مقدّمة كتاب (إحياء علوم الدّين) للإمام أبي حامد الغزالي بالنّسبة للعلم وتعريفاته وفضله. (الغزالي، د ت، مقدّمة المؤلّف) كما اعتمد المؤلّف على مقدّمة كتاب (كشف الظنون) في بيان أنواع العلوم وتقسيمها من جهة موضوعاتها.

– كما سلك صاحب (السرّ المصون) المسلك نفسه في متن كتابه؛ حيث كان ناقلا عن الكشف بنسبة كبيرة وكذلك عن كتابي البغدادي (إيضاح المكنون) و(هديّة العارفين) ممّا يجعلنا نشعر بضآلة الجديد الذي أتى به ومعظمه كتب بالتركية أو الفارسية ويجهل أسماء مؤلّفيها أو يورد الاسم مختصرا.

– كثيرا ما يذكر ابن العظم اسم الكتاب مجتزأ غير كامل وكذا اسم المؤلّف، أو يذكر اسم الكتاب لا يبيّن مؤلّفه، ويكفي أن نسوق أمثلة على ذلك من الصفحة (45) من الأصل على النحو الآتي:

أوّلا: (إبطال القول بالتوليد) للإمام العلاّمة عبد القاهر...المتوفّى...

ثانيا: (إبطال الكلام النّفساني) للإمام العلاّمة...

ثالثا: (أبكار الأفكار...) للعلاّمة ابن أبي الفوارس (ابن العظم، 2002، صفحة 45).

– ومن المآخذ المسجّلة كذلك على صاحب (السرّ المصون) موقفه من بعض العلماء والذي تجلّى في طريقة تسجليه لأسمائهم وكذا ذكره لمصنفاتهم التي وضعوها في مختلف العلوم لاسيما الشرعية منها؛ ولعلّ أصدق مثال على ذلك موقفه من ابن تيمية إذ لم يورد اسمه أمام كلّ كتاب ذكره له. (ابن العظم، 2002، مقدّمة التّحقيق).

خاتمة:

من خلال اطّلاعنا على كتاب (كشف الظّنون) لمؤلّفه حاجي خليفة واستقصائنا لجميع الذّيول الّتي جاءت بعده ودراسة منهجها وإبراز الجهود الببليوغرافيّة لأصحابها توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج نجملها فيما يأتي:

– ما لا سبيل إلى نكرانه أنّ جميع الذّيول التي جاءت عقب كشف الظنون لم تتمكّن من الانفصال عن أصل وضعه الذي من أجله أتت هذه الذّيول بعده بالعشرات، كما أنّ هذه الذيول وإن كان معظمها لا يزال مخطوطا فإنّها ضمنت لكتاب (كشف الظنون) البقاء والاستمرارية على نحو ما أراده مؤلّفه الذي لو طال به العُمر لأخرج هذا المصنّف في عشرات المجلّدات؛ أي أنّه أراد أن يؤلّف موسوعة ببليوغرافية تسعُ جميع كتب العلماء في مختلف مجالات المعرفة وإن كان ذلك من المطلوب المحال والمرغوب الذي لا سبيل إلى تحقيقه، لهذا كانت الذّيول على هذا النّحو تعبيرا عن مطمح من مطامح حاجّي خليفة الذي ابتغى من وراء تأليف هذا المصنّف الوصول إلى منتهى الغاية وهي الإحاطة بأكبر عدد من مؤلّفات القدماء ومن عاصروه إمّا على سبيل الجمع المستحدث أو الاستدراك على من سبقوه وذلك بالاستفادة من كشّافات كانت لها الهدف نفسه وإن لم تبلغ شأو (كشف الظّنون) فيما حوى وصنّف ورتّب وأدرج، وهذه طبيعة كلّ متأخّر له القدرة على الاستفادة من تجارب من سبقوه في هذا أيّ فنّ وعلم.

– إنّ عدم تباين أصحاب الذّيول بمناهجهم في التأليف عن منهج صاحب (كشف الظنون) لا يقدح في جهودهم لكونهم حقّقوا مراد المؤلّف بأن واصلوا التصنيف الببليوغرافي لكتب العلماء في الحضارة الإسلامية من بعده وارتبط كلّ عنوان من تلك الذّيول بكشف الظنون على سبيل إتمام طرفي كلّ عنوان بما ينسجم مع إيقاع وجَرْس السّجع المألوف في ديباجة عناوين القدماء، وهذا ما أدّى إلى ذيوع صيت (كشف الظّنون) في الآفاق مشرقا ومغربا؛ فلو توقّف جُهد حاجّي خليفة في كتابه فحسب دون أن يُستدرك عليه وتليه ذيول لما انتشر بين أيدي العلماء والباحثين بهذا الشّكل يعرفه القاصي والدّاني، ففضل تلك الذّيول مضاعف وذلك بما أسدوه من خدمة علميّة في مواصلة الفهرسة والتّصنيف وكذا ما ضمنوه من الشّهرة لهذا الكتاب، غير أنّ قيمة (كشف الظّنون) هي التي أوقدت همَمَ المؤلّفين من بعده وحفّزتهم على إكمال المشوار باستحداث طرائق مغايرة في الفهرسة الببليوغرافيّة بما في ذلك ما تشهده حركيّة هذا العلم في حاضر النّاس اليوم، فعلماء الغرب أنفسهم أشادوا بسبق (حاجّي خليفة) في هذا الفنّ وإن لم يكن أوّل من طرق بابه.

– لقد ناهزت مجموع الأعمال الببليوغرافية في الحضارة الإسلامية ما عليه الجهد في هذا الفنّ في الحضارة الأوروبيّة المعاصرة، فالعبرة ليست بالمطبوع من تلك الفهارس والكشّافات لأنّ القصور وضآلة نسبة تحقيق التراث الإسلامي هي التي أفضت إلى عدم التوازن بين شطري الحضارتين في المنتج الفكري عموما وما ألّفه القدماء في مجال التّصنيف الببليوغرافي، هذا الحقل المعرفي الذي شمل علوما

شتّى سواء كانت كونية أو دينية، وهذا ما قاد إلى ظهور كشّافات وفهارس ضاهت في قيمتها ما يفتخر به المعاصرون الذين اتّخذوا سالف تلك المصادر قاعدة أساسا في الكشف عن أيّ علم أو عالم وما ألّفه من كتب.

المصادر والمراجع:

- الأبياري وآخرون. إبراهيم. د ت. *تراث الإنسانيّة*. مصر: المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والطّباعة والنّشر.
- الأزهري. أبو منصور محمد بن أحمد. د ت. *تهذيب اللّغة*. (تح: عبد السّلام هارون). مصر: دار المعارف.
- حاجي خليفة. مصطفى بن عبد الله. د ت. *كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون*. لبنان: دار إحياء التّراث العربي.
- خليفة. شعبان عبد العزيز. 1997. *الببليوغرافيا أو علم المكتبات (دراسة في أصول النّظريّة الببليوغرافيّة وتطبيقاتها)*. (الإصدار 1). مصر: الدّار المصريّة اللّبنانيّة للكتاب.
- ابن دُريد. أبو بكر محمد بن الحسين. 1987. *جمهرة اللّغة* (تح: زمزي منير البعلبكي). لبنان: دار العلم للملايين.
- رياضي زاده. عبد اللّطيف بن محمد. د ت. *أسماء الكتب المتمّمة لكشف الظّنون*. (تح: محمد التّنجي). مصر: مكتبة الخانجي.
- شرف الدين. عبد التواب. 1986. *الموسوعة العربيّة في الوثائق والمكتبات*. (الإصدار 1). قطر: دار الثّقافة.
- أبو الطّيّب اللّغويّ. عبد الواحد بن علي اللّغوي الحلبي. 1996. *كتاب الأضداد في لغة العرب*. (الإصدار 2) (تح: عزة حسن). سورية: دار طلاس.
- ابن العظم. جميل بن مصطفى بن محمد حافظ. 2002. *السّرّ المصون على كشف الظّنون*. (تح: يوسف سليم). لبنان: دار الفكر.
- عوّاد. كوركيس. 1999. *الذّخائر الشّرقيّة (دراسات في المكتبات ونوادرها. النّصوص المحقّقة. القسم المكتوب باللّغة الإنجليزيّة)*. (الإصدار 1). (جمع وتقديم وتعليق: خليل العطيّة). لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- الغزالي. أبو حامد. د ت. إحياء *علوم الدين. وبهامشه الإملاء على مشكل الإحياء للمؤلّف نفسه وتعريف الأحياء بفضل الإحياء للشّيخ العيدروس*. (تح: علي محمد مصطفى وسعيد المحاسني). سورية: دار الفيحاء.
- الكتّاني. محمد عبد الحي بن عبد الكبير. 2013. تاريخ *المكتبات الإسلاميّة ومن ألّف في الكتب*. (الإصدار 1). (ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنين وعبد القادر مسعود). المغرب: مركز الدّراسات والأبحاث وإحياء التّراث.
- كحالة. عمر رضا. د ت. *معجم المؤلّفين (تراجم مصنّفي الكتب العربيّة)*. لبنان: دار إحياء التّراث.
- المرادي. محمد خليل بن علي بن محمد أبو الفضل. د ت. *سلك الدّرر في أعيان القرن الثّاني عشر*. (تح: محمد حجّي). لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- مصطفى وآخرون. إبراهيم. 2004. *المعجم الوسيط*. مصر: منشورات مجمع اللّغة العربيّة.

References :

- Al'Abyari wa akharun. 'Ibrahim. d t. turath al'insaniyah. Masr almoassasah almasriyah alaamah littalyf wattibaa wa nnashr.
- Al'azhari. 'Abu Mansur Muhamad Ibn'Ahmad. d t. tahdhib allogha. (tah: Abd Assalam Harun). Masr: dar almaarif.
- Haji khalifa. Mustafa Ibn Abd Allah. d t. Kashf Azznun an 'asamy alkutub walfunun. Lubnan: dar 'ihya'a atturath alarabi.
- Khalifa. Shaban Abd Alaziz. 1997. albibiliughrafia 'aw ilm almaktabat (dirasat fi 'usul annadariyah albiblyughrafiyat watatbiqatiha). Masr: addar almasriyah allobnaniyah lilkitab.

- Ibn Duryd. 'Abu Bakr Muhamad Ibn Alhusayn. 1987. Jamharat allogha (tah: Ramzi Munir Albalabaki). Lubnan: dar alilm lilmalayin.
- Riadi Zadah. Abd Allatyf Ibn Muhamad. d t. 'sma' alkutub almutamumah likashf azznun. (tah: Muhamad attanjy). Masr: maktabat alkhanji.
- Sharaf Addiyn. Abd Attawab. 1986. almawsuah alarabiyah fi alwathaiq walmaktabat. Qatar: dar athaqafah.
- 'Abu Attayb Alloghawy. 1996. Abd Alwahid Ibn Ali Alloghawy Alhalabi. kitab al'addad fi lughat alarab. (tah: Azzah Hasan). Suria: dar talas.
- Ibn Aladm. 2002. assur almasun ila kashf alzznun. (tah: Yusuf salim). Lubnan: dar alfikr.
- Awwad. kurkis. 1999. addhakhair ashsharqiyah (dirasat fi lmaktabat wanawadiriha. annusus almuhaqqaqah. alqism almaktub billoghah al'injlyziyah). (jama wataqdim wataliq: Khalil Alatiyah). Lubnan: dar algharb al'islami.
- Alghazali. 'Abu Hamid. d t. 'ihya' ulum aldiyn. wabihamishih al'imla' ala mushkil al'ihya' lilmualif nafsih watarif al'ahya' bifadl al'ihya' lishshaykh Alaydarus. (tah: Ali muhamad mustafawa said almahasini). Suria: dar alfayha'.
- Alkattany. Muhamad Abd Alhay Ibn Abd alkabir. 2013. tarikh almaktabat al'islamiyah waman allafa fi alkutub. (dabt wataliq: 'Ahmad Shawqi banin waAbd Alqadir masoud). Almaghrib: markaz addirasat wal'abhath wa'ihya' atturath.
- Kahalah. Omar Rida. d t. muajam almuallifyn (tarajim mosannify alkutub alarabiyah). Lubnan: dar 'ihya' atturath.
- Almuradi. Muhamad Khalil Ibn Ali Ibn Muhamad 'Abu lfida. d t. silk addorar fi 'ayan alqarn aththany ashar. (tah: Muhamad hajjy). lubnan: dar algharb al'islami.
- Mustafaa wa akharun. 'Ibrahim.2004. almuajam alwasit. Masr: manshurat majma alloghah alarabiyah.